الفهم أو سوء التناول. فإلى جانب تحولها إلى مصدر للإعجاز القصصي الخليق بالمحاكاة اشتبكت *ألف ليلة* في الذهن الغربي(٥) اشتباكًا نصوصيًا بمكان ولادتها على نحو تماهى من خلاله الشرق العربي وغير العربي مع مضمون الحكايات الغرائبي غالبًا. أو بتعبير آخر ، أصبحت *ألف ليلة وليلة* بعفاريتها وسحرها وإباحيتها مفتاحًا رئيسًا لمعرفة الشرق في الذهن الغربي. وإذا كان في تلك القصص ما يصف فعلاً جوانب من الحياة الثقافية والاجتماعية في الشرق في أثناء الفترات التي دونت بها، فإن ذلك لا يرقى أبدًا إلى مستوى التعميم والمطابقة التي تفصح عنها رؤية كثير من الكتاب الغربيين في توظيفاتهم المختلفة.

وثمة جانب آخر لسوء الفهم والتناول يتجلى في أن توظيف *ألف ليلة* يعكس أحيانًا موقفًا من الموروث الشرقي يتسم بقدر من الاستخفاف أو عدم الاكتراث بما يمكن أن نسميه الشخصية الاعتبارية لذلك الموروث، أي أن سوء الفهم والتناول ينطوي، أحيانًا، على أخطاء لا تقتضيها الضرورة الفنية أو الإبداعية وإنما هي ناتجة عن إهمال ناتج بدوره عن موقف ثقافي متعال إن لم يتعمد الإساءة فإنه لا يخشى حدوثها. وسيرد في هذه الورقة عدد من الأمثلة أحسبه كافيًا لإيضاح ما أشير إليه من سوء الفهم والتناول بجانبيه المشار إليهما، مثلما سترد أمثلة من التوظيف الفني البحت لـ *ألف ليلة وليلة* بما تثيره من تقنيات وإشكاليات قصصية. لكننا سنلاحظ أن التفريق بين هذه الجوانب التوظيفية لايحدث في الأعمال القصصية نفسها، بل سنجد الجوانب متداخلة يفضي بعضها إلى بعض على نحو يجعل الفصل بينها عملاً تحليليًا مجردًا ليس أكثر.

---

(٥) القلماوي، *ألف ليلة وليلة*. "فأصبح الشرق عند كثير من هؤلاء القراء الغربيين يساوي ألف ليلة وليلة"، ص ٨٦. ويشير د. فؤاد شعبان إلى ما يشبه ذلك في الموقف الأمريكي في القرن التاسع عشر. " كان لقراء الليالي العربية وما شابهها تأثير مسبق على الرحالة الأمريكي حتى قبل سفره إلى الشرق، ومن المؤكد أنها شكلت موقفه إزاء ما هو شرقي ":

Fuad Sha'ban, *Islam and Arabs in Early American Thought: The Roots of Orientalism in America* (Durham, North Carolina: The Acorn Press, 1991).

انظر أيضًا رنا قباني :

Europe's Myths of Orient (London: Panadora Press, 1986),p. 29:

"أدى سحر ألف ليلة وليلة إلى جعل الأوربيين يخلطون بين الشرق الحقيقي وشرق الحكايات" ؛ وإدوارد سعيد، *الاستشراق : المعرفة . السلطة . الإنشاء*، ترجمة كمال أبو ديب (بيروت: مؤسسة الابحاث العربية، ط ٢ ، ١٩٨٤) ص ١٩.